﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا .. ﴾

وجوب لعن أعداء الإمام الحسين عليه السلام

■ العلامة الشيخ محمد تقي مصباح يزدي

* قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ الأحزاب:٥٧، ولعلّ هذه الآية هي الأوضح والأتمّ للدلالة على جواز اللعن، لجهة دفعها الشبهات وتصريحها بأنّ لعنة الله قائمة على مَن آذى الله ورسوله في الدنيا والآخرة، فضلاً عن الوعيد بعذابٍ مهين. وإذا كان اللعن من المفاهيم القرآنية، ويجب التخلّق بأخلاق الله، يصبح الالتزام به واجباً في موارده.

ما يلي مختصر بحث للشيخ محمّد تقي مصباح يزدي يبيّن فيه مشروعية لعن أعداء الإمام الحسين عليه السلام بالخصوص، وأعداء الإسلام بشكل عام، بل يستدلّ على وجوبه بلحاظ وجوب التبرّي ثمّ التولّي.

«شعائر»

عن الإمام الباقر عليه السلام: "مُرُوا شيعتَنا بزيارةِ الحُسين بن عليّ عليهما السلام"

لن ننتفع من بركات الإمام الحسين عليه السلام، إلا إذا قمنا بلعن أعدائه أولاً، ومن ثم نسلّم عليه. فلا بدّ من إظهار التبرّي من أعداء الإسلام إلى جانب تَولّي أولياء الله

لماذا لا بدّ من صبّ اللعن على أعداء الإمام الحسين عليه السلام؟

وثمّة سؤال آخر يثيره «دعاة تذويب الشخصية الإسلامية بالمفاهيم الغربية» غالباً في هذه الأيام، إذ قد يقال: سلّمنا بأنّ تاريخ الإمام الحسين عليه السلام مؤثِّر ومحرِّك، وعرفنا أنّه لا بدّ من إحيائه بعمق وإقامة العزاء في ذكراه، ولكنّكم تقومون بشيءٍ آخر في مراسم العزاء، فلا تكتفون بالذكر الحسن والثناء العطر للإمام الحسين عليه السلام، والبكاء على ما جرى من أحداث مؤلمة في استشهاده، وإنّما تصبّون اللعنات على أعداء الإمام الحسين عليه السلام، فلماذا هذا الفعل؟

ولماذا هذا اللعن لأعداء الحسين عليه السلام؟

إنّ هذا الفعل يعتبر لوناً من العنف والتشاؤم، إنّها مشاعر سلبية ولا تنسجم مع عقلية «الإنسان المتحضّر»! فعندما تستثار مشاعركم حاولوا أن تشبعوها بالبكاء والعزاء، ولكن لا تتلفّظوا بألفاظ اللعن، ولا تقولوا: «**أتقرّب إلى الله بالبراءة من أعدائك**»، لماذا ترسلون اللّعن مائة مرة إلى أعداء الإمام الحسين عليه السلام، في زيارة عاشوراء؟

استبدلوا بهذا اللعن السلام على الحسين مائة مرة، لماذا هذه اللعنات التي تسمّم الأجواء وتخلق في الناس رؤية تشاؤمية بالنسبة للآخرين؟

دفع شُبهة قُبح اللّعن

إنّ هذا السؤال لو كان مطروحاً عن جهل فإنّ جوابه سهلٌ يسير، لكنّنا نحتمل بقوة أنّ كثيراً ممّن يتحدّث بهذه

الطريقة إنّما يحمل أفكاراً أخرى وتدور في مخيّلته أغراض خاصة، ومن المحتمل جداً أنّه يقتفي أثر سياسات أخرى، أو أنّه ينفذ خططاً قد رسمها آخرون، وعلى كلّ حال فنحن نفترض أنّ هذا السؤال كان بدافع عقليّ وعلميّ، وهو بحاجة إلى جواب علمي.

والجواب العلمي لمثل هذا السؤال هو:

ليس هناك ضررٌ أبلغ وأشدّ على الإنسان من هدم دينه؛ إذ إنّ الأضرار المادية الدنيوية لا أهمية لها عند المؤمن؛ لأنّ الدنيا برمّتها لا قيمة لها عنده، فالعدوّ الحقيقي للإنسان هو من يحاول أن يسرق من الإنسان دينه، والعدوّ الذي لا يدّخر جهداً في أن يسلب من الإنسان سعادته الأبدّية هل يمكن السكوت عنه؟ يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ..﴾ فاطر:٦.

فهل يمكن الابتسام للشيطان؟ وهل يمكن الوئام والسلام معه؟ إذا تورّط الإنسان في ذلك فسيصبح شيطاناً مثله.

إذا كان من الضروري المحبة لأولياء الله، فإنّه من الضروري أيضاً العداوة لأعداء الله، هكذا هي فطرة الإنسان، وهذا هو عامل تكامل الإنسان وسعادته، إذا لم تتحقّق «العداوة» مع أعداء الله فإنّ سلوك الإنسان معهم يرقّ تدريجياً وتنشأ الصداقة فيما بينه وبينهم، ونتيجة لمعاشرته لهم سيتأثّر بسلوكهم وسيفتح قلبه وعقله لأقوالهم، ويغدو - شيئاً فشيئاً - شيطاناً مثلهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ..﴾ الأنعام:٦٨، اذا رأيت أناساً يتحدّثون عن الدين بصورة السخرية والاستهزاء وبطريقة مهينة، فلا تقترب إليهم، ولا تُصغِ إلى ما يقولون حتى ينتقلوا إلى موضوع آخر.

وفي آية كريمة أخرى يقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النساء:١٤٠.

فمن يحبّ الذين يستهزئون بالدين ويبتسم في وجوههم، فإنّ كلامهم سيؤثر فيه تدريجياً ويخلق الشكّ في نفسه، وعندئذٍ يُصبح إظهاره للإيمان نفاقاً؛ إذ إنّ النفاق هو أن لا يكون الإيمان في قلب الإنسان ولكنّه في الظاهر يدّعي أنّه مؤمن، فواحدة من النتائج التي تُلحِق المرء بركب المنافقين هو الوئام معهم، وإذا أصبح المرء منافقاً في الدنيا بسبب مجالسته ومعاشرته للكافرين، فإنّه في الآخرة سوف يكون رفيقهم في جهنم: ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

وبعبارة أخرى: إنّ العداوة مع الأعداء هي نظام دفاعي في مقابل الأضرار والمخاطر، فكما أنّ جسم الإنسان مزوّد بعاملٍ يجذب المواد النافعة، فإنّه مزوّدٌ أيضاً بنظامٍ دفاعي يطرد السموم والجراثيم، ويقاومها ويقضي عليها، وهذه هي مهمة الكريات البيض في الدم، أمّا إذا أصيب النظام الدفاعي للبدن بالضعف فإنّ الجراثيم تنمو وتستفحل، ويؤدّي ذلك إلى إصابة الإنسان بالأمراض، ولعلّه بالتالي يواجه الموت.

فلا بدّ من إظهار المحبة للناس الطيبين الذين هم منشأٌ للكمال، ولهم تأثيرٌ ضخم في تقدّم المجتمع وازدهاره.

وفي المقابل لا بدّ من إظهار العداوة عملياً لمن يلحقون الضرر بمصير المجتمع، قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ..﴾ الممتحنة:٤.

ونحن، إذ نعلن العداوة والبغضاء للشيطان الأكبر وأعداء الإسلام، فهذا إنّما هو تأسٍّ بإبراهيم عليه السلام، فقد أمرنا القرآن الكريم بالتأسّي بإبراهيم عليه السلام، بعداوتنا لأعداء الدين، فالإنسان العاقل لا يوزّع الابتسامات في كلّ آنٍ ومكانٍ، بل لا بدّ له أن يعبس في وجوه البعض، ويقولها صريحةً له: أنا عدوّك وليس بيني وبينك سلام، إلّا إذا كففتَ عن خيانتك، هذا هو أمر القرآن.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ فروع الدين عشرة، فبعد «**الأمر بالمعروف**» و«**النهي عن المنكر**» يعدّ من فروع الدين أيضاً: «**التولّي**» و«**التبرّي**»، أي من جملة الواجبات التي لا بدّ أن يهتم بها جميع المسلمين ويعملوا بمضمونها هو أن نحبّ أولياء الله وأن نعادي أعداء الله أيضاً. ولا يكفي محبة أولياء الله، فإذا لم تكن العداوة لأعداء الله فإنّ المحبة للأولياء سوف تزول وتضمحلّ، فلو انعدم النظام الدفاعي للبدن فإنّ نظام الجذب سوف يتعطّل أيضاً.

والشيء المهم هو أن نعرف بدقة مجالات الجذب والطرد، فقد تختلط الأمور في كثيرٍ من الأحيان، إذ في المورد الذي لا بدّ أن نقوم فيه بالجذب، فإنّنا قد نخطئ ونستخدم الطرد، فمثلاً لا ينبغي معاداة الشخص الذي أخطأ في القول عن جهل، وزلّت قدمه ثمّ ندم واعترف بخطئه عند بيانه له، إنّ مثل هذا الشخص لا ينبغي معاداته ولا ينبغي طرده من المجتمع، بل لا بدّ من التصدّي لإصلاحه، فهو مريضٌ لا بدّ من معالجته، وفي مثل هذا المورد لا يتم اللجوء إلى العداوة، نعم إذا كان الشخص متعمّداً، ويشيع المعصية في المجتمع بشكل علني، إنّ هذه خيانة لا بدّ من التصدي لها وإعلان العداوة لصاحبها، أمّا إذا ارتكب الشخص الذنب خطأ فلا بدّ من التعامل معه برفق ومودّة، ولا يجوز هتك حرمته وإسقاط شخصيته، بل لا بدّ من السعي لإصلاحه، لأنّه يعاني من مشكلة ويجب حلّ مشكلته.

أمّا أعداء الدين، فيجب علينا أن نتعامل معهم بكلّ غضب وعنف، وأن نعبس في وجوههم.

وخلاصة كلامنا هو: إنّ إحياء ذكرى سيّد الشهداء هي إعادة لصياغة الحياة الحسينية، وذلك لننتفع بتلك الحياة الكريمة على أحسن نحو، ولا ينبغي الاكتفاء بالدراسات العلمية، لأنّ الإنسان بحاجة إلى استثارة عواطفه ومشاعره، ولا ينبغي الاقتصار أيضاً على العواطف الإيجابية كالفرح والسرور والضحك والابتسام، وذلك لأنّ إحياء ذكرى سيّد الشهداء عليه السلام ومظلوميته لا يتيسّر إلّا عن طريق مشاعر الحماس والحزن والبكاء والحداد.

ومع إرسالنا لآلاف التحية والسلام للإمام الحسين عليه السلام، ولتراب قبره الطاهر، فإنّنا نرسل آلاف اللعن لأعداء الحسين عليه السلام؛ أعداء الله والإسلام، والسلام وحده لا يحلّ المشكلة، لأنّنا لا نستطيع أن ننتفع من بركات الحسين عليه السلام، إلّا إذا قمنا باللعن أولاً لأعدائه، ثمّ نرسل إليه التحية والسلام. والقرآن يذكر – أولاً – في صفات المؤمنين من أصحاب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ الفتح:٢٩، ثمّ يقول: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، فلا بدّ من وجود اللعن إلى جانب السلام، ولا بدّ من إظهار التبرّي والعداوة لأعداء الإسلام إلى جانب التولّي لأولياء الله، إذا كنّا بهذه الصورة فنحن حسينيون، وإلّا فإنّه لا ينبغي أن نلصق أنفسنا بالحسين عليه السلام من دون استحقاق.

..فإنّ زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع...